المحاضرة الثانية: حضارات الجزائر فيما قبل التاريخ

تمهيد:

اتفق العلماء على إطلاق تعبير ما قبل التاريخ على العصر السابق لمعرفة الإنسان للكتابة (3500ق.م)، أي السابق لبدء تسجيل الإنسان لأعماله وأراءه في سجلات مكتوبة، سواء كانت نقشا على الحجر أو البردي ... فمنذ ذلك الحين تركت لتلك السجلات مهمة رواية قصة الإنسان، أما قبل هذا فعصر طويل ليس لدينا عنه أي سجل مكتوب، بل آثار مادية، ولكنها في نظر الكثير من العلماء أكثر إفصاحا من المكتوب، لأنها لا تتعرض للزيف المتعمد من الإنسان أحيانا في تاريخه المكتوب.

أولا: الحضارة العاترية

1- تعريفها:

حضارة محلية تنسب إلى مدينة بئر العاتر بولاية تبسة، وتسمى أيضا بحضارة واد الجبانة نسبة إلى الموقع الاثري الذي اكتشفت فيه في وادي الجبانة بمنطقة بئر العاتر، وهي تتميز بأدوات وصناعات حجرية ذات العنق، وقد امتدت زمنيا بين45 ألف سنة و20 ألف سنة ق.م أي أنها غطت جزءاً كبيرا من العصر الحجري الأوسط.

في البداية كان يعتقد أنها بقايا تعود للحضارة الموستيرية، لكن بفضل اكتشاف موقع "بئر الجبانة"، تبين للباحثين أن الأمر يتعلق بحضارة مختلفة عن الموستيرية، وقد تم الاعتراف بها في مؤتمر ما قبل التاريخ في "مونبولي" بفرنسا 1922، ومع ذلك ظل الجدال قائما حولها حيث أعتبرها بعض الباحثين مرحلة حديثة من الموستيرية.

2- المجال الجغرافي:

انتشرت هذه الحضارة في رقعة جغرافية واسعة حيث شملت شمال إفريقيا وامتدت إلى الصحراء، كما وجدت في مصر والسودان وإثيوبيا والصومال وفي غرب واد النيل، وقيل بأنها امتدت إلى جنوب إفريقيا، وامتدت أيضا إلى الشرق فقد ظهرت مواقعها في فلسطين وفي شبه الجزيرة العربية، كما اتجهت غربا إلى المحيط الأطلسي، واجتازت الصحراء لتصل لمنطقة الساحل حيث وجدت بقاياها في العديد من المناطق مثل شمال النيجر ودولة تشاد.

وبالنسبة للإنسان صانع هذه الحضارة فهو بلا شك الإنسان العاقل وقد عثر على بقايا عضوية له في الكثير من المواقع خاصة في المغرب الأقصى حيث عثر على بقاياه في كهف دار السلطان 2 وفي كهف الزهرة وفي كهف تمارة، ومغارة العالية قرب طنجة وغيرها، كما عثر على بقايا عضوية للعاترية في مصر في المكان المسمى ب "نزلة الخاطر" بمصر العليا.

3- <u>الصناعة العاترية:</u>

تميزت بكثرة الشظايا والنصال مع وجود تقنية لافلوازية في مرحلتها القديمة، ووجود أدوات ذات الساق او المقابض والتي تزداد أكثر في المراحل المتطورة، ومن بين أدواتها رؤوس السهام الخشنة والنصال الكبيرة والمتوسطة التي أصبحت أكثر دقة في المرحلة المتطورة، وقد أطلق موريس ريفاس تسمية "العاترية" في سنة 1922 على مختلف البقايا الحجرية المزودة بساق (صورة في الأسفل) وهي تقنية التي صدرها إلى الإنسان العاتري إلى مختلف الحضارات الإنسانية فيما بعد بما في ذلك الفراعنة.

هذا ويبدو أن الانسان في هذا العصر، قد استعمل – بجانب الحجر – الأخشاب والجلود والعظام وبيض النعام وقشوره.

ملحق رقم 2: صور توضح أدوات حجرية ذات الساق أو العنق خاصة بالحضارة العاترية

4- مراحل الحضارة العاترية

أ- العاترية القديمة: أما العاترية القديمة فأغلب مواقعها موجودة قرب ســـاحل البحر المتوســـط وهي قريبة من الحضــارة الموســتيرية ومن مواقعها في المغرب: دار الســلطان، عين الجماعة، وفي الجزائر : الخروبة، أرزيو، وكدية بوغرارة، وفي تونس رقبة بلقاسم والرأس الأسود، وقد وجد في مواقعها بقايا للتقنية اللافلوازية مما جعل الباحث كامبس يعتقد أن العاترية ولدت من رحم الموســـتيرية، وتقل في هذه المرحلة الأدوات ذات الســـاق، أما نوع الحجارة فهي من الكوارتزيت والحجارة البركانية والجيرية ونسبة قليلة من الصوان، ومن المرجح أن الأدوات الموستيرية ضلت موجودة في هذه المرحلة بشكل كبير خاصة الأوتاد المثقوبة والحجارة ذات الوجهين .

ب-العاترية الوســطى النموذجية: تقع معظم مواقعها في الجزائر وهي تحتوي أدواتها على النصــال ذات العنق، ومن مواقعها "وادي الجبانة" ببئر العاتر و"وادي جوف"، و"بئر لشــعشــاع" بالشــرق الجزائري، وفي هذه المرحلة ضلت التقنية اللافلوازية موجودة مع كثرة النصال، والمكاشط، والأدوات ذات الساق المشذبة من الوجهين .

ج- العاترية العليا : وتتميز بوجود نسبة قليلة من الصوان مع وجود أدوات ذات وجهين، وقد وصلت العاترية في هذه المرحلة إلى المغرب الأقصــى، ومن مواقعها: طنجة ،المغارة العليا، دار الســلطان، عين تاكيليت، كما امتدت إلى الصحراء ويحتمل أنها تواصلت في بعض المناطق من الصحراء الجنوبية.

ثانيا: الحضارة الوهرانية (الايبيرومغربية)

1-تعريفها:

هي الحضــارة التي عرفت خطأ باســم الايبيرومغربية لاعتقاد الباحثين بوجود تشــابه بينها وبين حضــارات شــبه جزيرة إيبيريا (إسبانيا والبرتغال حاليا)، ويعد الباحث "بول بلاري" هو أول من سماها بهذا الاسم، لكن اتضح فيما بعد أن هذه الحضارة لا علاقة لها اطلاقا بايبيريا و أنها حضارة محلية صرفة، و أعقب ذلك تحريات و دراسات و حفريات قام بها الباحث الفرنســي "قوفري" عام 1932 في مواقع بالجزائر على الخصــوص جعله يطلق عليها اســم الحضــارة الوهرانية، وقد عرفت بأسماء أخرى مثل "المويلحية" نسبة إلى موقع المويلح في الغرب الجزائري.

2-المجال الجغرافي:

هي حضارة ساحلية انتشرت في شمال أفريقيا من المغرب غرباً إلى ليبيا شرقاً لكنها امتدت في بعض المناطق إلى أعتاب الصحراء فقد وجدت في الهامل قرب بوسعادة.

3-الصناعة الوهرانية:

تميز هذه الحضارة بأن أدواتها صغيرة الحجم حيث يتراوح حجمها بين 3 و7 سم، وتتضمن النصال بصفة خاصة وهي تتخذ عدة أشكال منها ماهو مشذب القاعدة أو مدبب، ويوجد أيضا المكاشط والمسننات، أدواتها تتكون من حجارة الكوارتز والحجارة البركانية والصوان، كما أن أدواتها غالبا ما تتخذ أشكالا مستطيلة أو مثلثية، كما تميزت بكثرة النصال الصغيرة، وكثرة استخدام العظام.

4-مراحل الحضارة الوهرانية:

أ-المرحلة القديمة: تمتد المرحلة القديمة منها حسب بعض المصادر من حوالي 20500 سنة الى غاية 10000سنة، وتتميز بنسبة عالية من المحت القزمي مع ظهور القطع المهذبة .

ب-المرحلة الكلاسيكية: تمتد من 10الاف سنة الى8 آلاف سنة وتتميز بارتفاع في نسبة النصيلات ذات الظهر وانخفاض المحتات القزمية وتوفرها على القزميات الهندسية النصف دائرية.

ج-المرحلة المتطورة: تبدأ من حدود 8500سنة وتتميز بانخفاض في النصيلات ذات الظهر ولتصل الى حدود 52بالمئة وارتفاع نسبة المحزات.

ثالثا: الحضارة القفصية

1- تعريفها:

سميت هذه الحضارة بالقفصية نسبة المدينة الرومانية (Capsa) في جنوب تونس وهي" قفصة الحالية وقد سماها "بول بلاري" باسم "الجيتولية"، وأما الموقع النموذجي لهذه الحضارة فهو "حقل الحلزون أو الرماديات"، وكان " دي مورجان " أول من حدد ســـمتها الصـــناعية، معتمدا على المادة الأثرية من موقع" المقطع"، وهي حضارة داخلية على عكس الايبيرومغربية تتركز أثارها قرب السبخات والأودية، يعود ظهورها إلى حوالي 7000 سنة ق.م

2-الخصائص الصناعية:

مارس الإنسان القفصي عادة صقل الحجارة في صنع الكرات والتي ربما كان يستخدمها لدق وطحن الحبوب البرية، كما استخدم الفخار ومارس عادة قلع الأسنان بطرق تختلف عند الرجل عندها عند المرأة فبعضهم تقلع أسنانه السفلي، وإن لم يعرف الهدف من هذه العادة حتى الآن، وهناك من يشير إلى بداية التعبير الفكري عند إنسان الحضارة القفصية الأمر الذي سوف تتحدد ملامحه بصورة واضحة في العصر الحجري الحديث، هذا فصلا عن ممارسة النقش على القشور بيض النعام ثم صياغتها في حبات لنظم عقود الزينة، وقد كانت صناعة أصلية في شمال أفريقيا

3-مراحل الحضارة القفصية:

أ-الحضارة القفصية الصميمية أو الشرقية: تمتد من جنوب تونس وتتفق حدودها مع مقاطعة قسنطينة الجزائري، ولا تصل إلى الساحل الشرقي، كما أنها في الغرب لا تتعدى الكتل الجبلية لجبال الأطلس ولا تتجاوز شمالها، ثم بعد ذلك لا إلى أن وجود لها في الصحراء أو مقاطعات الجزائر ووهران، ومن ثم فقد ذهب البعض القفصية الصميمية، إنما هي مرحلة حضارية قصيرة أجل .

ب- القفصية العليا: فقد شملت كل منطقة القفصية الصميمية، فضلا عن أنها زحفت إلى الشمال ولكن دون الاتجاه نحو الشرق، ووصلت إلى الحد الشمالي للهضاب العليا ولكن دون بلوغ البحر وأما من جهة الغرب فهي لم تتجاوز خط التصنيف لمدينة الجزائر، الذي يرى فيه "فو فري" الحد الغربي للقفصة العليا.